

المفانوس أبو شمعة

قبل أن تقوم الصين بثورتها الكبرى

سنة 1949

كنا - نحن أطفال مصر -

نحصل في مطلع شهر رمضان

على فانوس صغير

مصنوع من الصفيح والزجاج الملون

وله باب ندخل منه شمعة رقيقة

كانت تلسعنا أحيانا

ونروج ندور في المحارات بعد الإفطار

ونحن نغنى ونهلل

وبيد كل منا فانوسه

حتى تذوب الشموع

فننخرط في ألعاب أخرى ..

[]

كان هذا في الزمن الجميل

الذي ما زلت أذكر تفاصيله بكل وضوح

وكانت أيامه ولياليه

تتوالى بسيطة وطيبة

ولم يكن فيها تليفزيون

بل كان راديو المكوجى على المناصية

هو الذى يجمعنا حول مسلسلات

مثل ألف ليلة وليلة

والظاهر بيبرس

حيث نصغى لها بانتباه شديد

ونعيش أحداثها بانفعال كامل

ونتعاطف بكل جدية مع أبطالها

كما ندين أشخاص الأشرار

[]

وفى الليالى الأخيرة من رمضان

وحين يقترب عيد الفطر

نتجمع بالمفوانيس المضيئة بالشموع

ونطرق بكل جرأة

أبواب المنازل التي لا نعرف أصحابها

ونحن نغنى وننشد:

" وحوى ..يا وحوى "

ومن الجميل أن الناس

كانوا ينفخوننا بعض النقود

والكثير من الحلوى

فتملاً بها جيوبنا

ونعود كما بدأنا سعداء!

واليوم ..

جاء المفانوس الصينى

الذى يمشى ويتكلم ويغنى ويرقص..

ويتم تشغيله بالبطارية

لكن شحنتها حين تفرغ

يتوقف كل شئ فيه

ويصمت تماما

لأنه غالى الثمن

ولما تلقىه الأسرة فى القمامة

بل تحتفظ به فى أحد أركان الشقة

أما الأطفال ..

فيسرعون بلا مبالاة

لمشاهدة التلفزيون

والمانغماس فى أفلام الكرتون

[]

وأنا أنتساعل بكل جدية :

هل يسعد أطفال اليوم

بالمفانوس المصينى

الذى يمشى ويتكلم ويغنى ويرقص ..

مثلما كنا - نحن أطفال الأمس -

نسعد .. بالمفانوس أبو شمعة ؟!
